1-تعريب نماذج من الأدب[1] الألخميّ الموريسكيّ

محمّد نجيب بن جميع
(تونس)

"...إنّ الأدب الألخميّ هو إن صحّ التّعبير بمثابة الأراضي الأمريكيّة التي لم تكشف بعد والّتي قد تهدي لزائريها الأوائل ثروة كبيرة..." هذا ما أكّده سيرافين استيبناث كلديرون (Serafin Estébanez Calderon) عند تسلّمه كرسيّ العربيّة بالمجمع الأدبي بمدريد (Ateneo de Madrid) سنة 1848.

ونحن إذ نعود بالنصّ الألخميّ إلى العربيّة، فإنّنا نأمل أن يطّلع القارئ العربيّ على هذا الصّنف من الأدب الإسباني المكتوب بالأحرف العربيّة، راجين أن تتوسّع هذه الإطلالة لتشمل نماذج من النّتاج الأدبي الموريسكي المكتوب بالأحرف اللاّتينيّة. وقد سعينا إلى أن تكون هذه الإطلالة وفيّة لشكل المخطوطات الموريسكيّة ولمضامينها الأكثر تواترا. وهذا ما يفسّر تنوّع النّصوص والمحاور من ناحية وتجانسها وارتباطها من ناحية أخرى. إذ أن مخطوطات الموريسكيّين التي اطّلعنا عليها أو التي نشرت بعد صنفان : صنف يتطرّق فيه الكاتب إلى موضوع واحد أو مواضيع متجانسة، وصنف يشتمل على محاور متنوّعة لا تخضع إلى ترتيب أو إلى تبويب. وفيما يلي بعض هذه النصوص :

(1) هذا القسم التّطبيقي من بحث الأستاذ محمد نجيب بن جميع، انظر القسم الأوّل النّظري في " دراسات أندلسيّة " عدد 30/ 2003، ص ص 13-52 .

1- مايبكي الرّسول ومايسّره

قال ابن عبّاس رضي الله عنه:

– في إحدى أيّام الجمعة وبعد صلاة الظّهر توجّه إلينا النبيّ محمّد عليه الصّلاة والسّلام قائلا :

– ياقوم ! أبكي من أربعة منكم وأبتهج من أربعة منكم.

قال ابن عبّاس :

– ومن يبكيك يارسول الله ؟ ومن يسّرك ؟ لا أبكى الله عينيك !

قال :

– أبكي لفقير يقف سائلا أمام الباب... وأبكي ليتيم يقف أمام من لايرأف به... وأبكي لباك مهان يشكو إهانته لأناس لايكترثون بما لحق به من ضيم...وأبكي لشيخ عصى ربّه آخر أيّامه.

وسئل الرّسول عليه السّلام :

– ومن الذي يسرّك يارسول الله ؟

قال :

– **أولا** الفتى الّذي يتعبّد الله ولايعصيه رغم حداثة سنّه، **ثانيا** مَن كلّم مَن قاطعه الكلام، إذ لايجوز للمؤمن أن يقطع الكلام مع أخيه المؤمن أكثر من ثلاثة أيّام. **ثالثا** من اقترب ممّن ابتعد عنه من المسلمين الصّالحين. رابعا من صفح عمّن شتمه.

والحمد لله ربّ العالمين.

Estudio y edicion del Codice miscelaneo aljamiado-morisco n°IV de la Junta para Ampliacion de Estudios, Folios (150r-151r).
Tesis doctoral defendida por Mohamed Ali Ben M'rad en la Universidad Complutense de Madrid en 1991.

2- حديث موسى مع اليمامة والصّقر

حدّث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : كان موسى بن عمران يعبد ربّه بطور سيناء وفجأة رفع عينيه إلى السّماء وقال :

- إلاهي، يا من اخترته وفضّلته، وجدت في التّوراة خمس كلمات لم أهتد إلى معانيها.

فبعث إليه الله صوتا يقول له :

- يا موسى بن عمران سأشرحها لك. أمّا **الكلمة الأولى** فمعناها : "من لم يرض بحكمي وبأمري وبقدرتي وبسعتي وبلائي فليتّخذ إلاها آخر غيري". أمّا **الكلمة الثانية** فمعناها يا موسى كما يلي "لولا عبادي المؤمنين لما نظرت ولو بطرفة عين إلى من عصاني". وأما **الكلمة الثالثة** فمعناها هو الآتي : "من جاء بذنب وهو ضاحك، أدخلته النّار وهو باك". وأمّا **الكلمة الرّابعة** فمعناها يا موسى كما يلي "لولا قولة لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله لما خلقت السّماء والأرض والجنّة والنّار والشّمس والقمر، ولكان عرشي على الماء". وأمّا **الكلمة الخامسة** فمعناها هو التّالي: "اكتب على بني إسرائيل الصّلاة، إنّ الصّلاة تقرّب بيني وبين عبادي". هذه معاني الكلمات الخمس التي غابت عنك شروحها.

ولما سمع موسى أنّ الصّلاة فرض عليه وعلى بني إسرائيل، قام بالوضوء وأخذ يصلّي تقرّبا إلى الله عزّ وجلّ. وبينما كان يركع ويسجد، بعث الله إليه يمامة من السّماء فحطّت أمامه وقالت له وهو ساجد.

- يا نبيّ الله، يا موسى، احمني من عدوّي إنّه يريد قتلي.

- وعندها قال موسى :

- لا شكّ أنّ هذه اليمامة لها عدوّ يطاردها، يريد أكلها لسدّ رمقه.

ومدّ موسى يده وأخذ اليمامة ووضعها في كمّه ثمّ عاد إلى الصّلاة. وبينما كان يركع ويسجد بعث الله إليه صقرا من السّماء. فحطّ أمامه وقال :

- يا نبيّ الله، يا موسى، اخرج لي اليمامة حتى آكلها ولا تمنع عنّي رزقي إنّي جائع. فإن لم تفعل أشكوك غدا أمام الله عزّ وجلّ.

فقال موسى في نفسه :

- لا شكّ أنّ هذه اليمامة هي رزق لهذا الصّقر.

ومدّ يده إلى كمّه ليعطي اليمامة الصّقر وعندها قالت له اليمامة :

- يانبيّ الله، ياموسى، لقد احتميت بك وها أنت الآن تريد أن تسلّمني لعدّوي. فوالله لو فعلت لأشكونّك غدا أمام الله عزّ وجلّ.

وبقي موسى بن عمران حائرا بينهما ورفع عينيه إلى السّماء ثمّ قال :

- إلاهي، يامن اخترته وفضّلته، انصحني بما يجب أن أفعله لهذين الطّائرين.

قال النبي عليه السّلام : وانقطع الوحي عن موسى لمعرفة ما سيقوم به. وفكّر موسى طويلا ثمّ أخذ سكّينا كان يقلّم به أظافره أو يبرّي به قلمه لكتابة التّوراة وهمّ بقطع شيء من لحمه يعطيه إلى الصّقر. فقال الصّقر :

- يا موسى، يا نبيّ الله، اعطني رزقي ولا تحرمني منه إنّي جائع. فلا تكن دون منزلة الطيّبين.

وقالت اليمامة :

- يا نبيّ الله، يا موسى، تمسّك بالوصيّة التي أوصاك الله بها.

بقي موسى حائرا لا يدري ماذا يفعل. ثمّ فكّر في قرارة نفسه وقال للصّقر :

- يا صقر، بالله عليك، لو أردت شيئا من لحمي فخذ منّي ماشئت.

فقال الصّقر :

- سأفعل ذلك بكلّ سرور.

وحلّق الصّقر ثم حطّ على كتف موسى ورفع منقاره وجرح به طرفة عينه فكاد أن يفقعها. أحسّ موسى عليه السّلام بألم شديد فقال :

- يا إلاهي !

رفع الصّقر عنه منقاره فقال له موسى :

- آه، كم الجرح مؤلم في هذا المكان ! خذ منّي ما يشبعك.

فقال الصّقر :

- لم أر قطّ أحدا مثلك. تحرمني من رزقي وتحرمني من لحمك. أليس هذا من السّيئات وأنت نبيّ الله ؟

عندها قال له موسى :

- خذ منّي ماشئت.

فقال الصّقر :

- لا أستطيع. فكلّما سمعتك تذكر ربّك أفقد سيطرتي عليك.

فقال موسى :

- كل فلن أقول شيئا.

حلّق الصّقر وحطّ على كتف موسى وجرح طرفة عينه فكاد أن يفقعها. تألّم موسى كثيرا وقال :

- سبحان الله.

وعندما سمع الصّقر ذكر الله رفع منقاره وقال :

- يا موسى هذا ما قلته لك. أنت تحرمني من رزقي وتحرمني من لحمك.

فقال موسى :

- افعل ماشئت وستجدني صامتا.

رفع الصّقر منقاره وجرح طرفة عينه جرحًا. وتألّم موسى ولكنّه لم ينطق ببنت شفة. فعندما شاهد الصّقر ذلك طار من على كتفه وحطّ على الأرض وقال :

– يا نبيّ الله، أتحرمني من لحمك وأنا جائع ؟

ولمّا سمع موسى ذلك همّ بقطع جزء من رجله يطعم به الصّقر رأفة باليمامة. وما إن أدركت اليمامة أنّه لن يتراجع عن قراره حتّى صاحت :

– يا نبيّ الله، لا تقتطع من لحمك ولا تؤلم قلبك. فأنا لست يمامة وهذا ليس صقرا.

قال موسى :

– ومن تكونان إذا يا صديقاي ؟

قالت اليمامة :

– أنا جبريل وهذا ميخائيل أرسلنا الله لنمتحن صبرك فوجدناك من الصّابرين.

رضي الله عن موسى وعن جميع الأنبياء والحمد لله ربّ العالمين.

• Antonio Vespertino Rodriguez, *Leyendas aljamiadas y moriscas sobre personajes biblicos*, Editorial Gredos, Madrid, 1983 (Ms. Gay. T. 19 : Fols 6r -9v).

3- حديث عيسى مع الجمجمة

باسم الله الرّحمان الرّحيم. هذا حديث عيسى عليه السّلام مع الجمجمة. روي عن الرّواة القدامى أنّ عيسى عليه السلام كان مارّا بواد وفجأة رأى جمجمة بيضاء ملقاة على الأرض. تأمل فيها عيسى عليه السلام وقال :

- لو شاء الله لتحدّثت إليّ هذه الجمجمة.

وعندها أرسل الله إليه خطيبا يقول له :

- يا عيسى تكلّم إلى الجمجمة وستجيبك بحول الله الذي يحيي العظام وهي رميم.

فتوضأ عيسى وصلىّ ركعتين ثم اقترب من الجمجمة وقال لها :

- باسم الله وبعونه ورحمته على آل محمّد وعلى أمّته...

وما أن نطق عيسى بهذه الكلمات حتّى أخذت الجمجمة تقول في لغة فصيحة واضحة :

- يا روح الله، لقد ذكرت أحسن الأسماء لدى الله.

وعندها قال لها عيسى :

- أسألك بالله العظيم أن تخبريني أين جمالك وأين قوّتك، وأين عضلاتك وأين عظامك وأين روحك ؟

فأجابت الجمجمة :

- يانبي الله، أمّا جمال وجهي فقد أكله التّراب وأمّا عضلاتي فقد أكلتها الدّيدان وأمّا عظامي فقد أصبحت رميما وأمّا روحي فهي الآن في عذاب الله.

قال عيسى :

– أسألك بالله العظيم أن تخبريني كيف كان شكلك.

قالت الجمجمة :

– يا عيسى كنت أحد أفراد تلك الأمّة التي غضب عليها الله.

قال عيسى :

– وكيف غضب الله عليها ؟

قالت الجمجمة :

– يا عيسى، لقد أنزل الله علينا أمطارا من السماء طيلة سبع سنوات وسبعة شهور وسبعة أسابيع وسبعة أيّام. وفي اليوم الثّامن نزل علينا عزرائيل ملك الموت وبيده سوط من النّار وقبض أرواحنا بحنق كبير، وأخرج منّي روحي إربا بعد إرب وعرقا بعد عرق إلى أن وصلت إلى حلقي. وعندها أخرج هراوة مريعة من النّار وقبض بها روحي. وقد شعرت بألم شديد كما لو سلخت حيّا. وأقسم لك بربّ الحقّ أنّه مرّ على ذلك ثلاث مائة سنة وأنا في هذا المكان ولم تبارحني قطّ تلك المرارة التي أحسست بها لمّا أخرجت روحي من جسدي، ولم تسكن خفقات قلبي ولم تهدأ مفاصلي المرتعدة من شدة الخوف والذعر اللّذين تملكاني أمام عزرائيل ملك الموت.

قال عيسى :

– أسألك بالله العظيم، أيّتها الجمجمة، أن تصفي لي ملك الموت.

قالت الجمجمة :

– يا عيسى، له يد في الشرق والأخرى في الغرب. وأمّا رجلاه فهما في أسفل الأرض السّابعة للدنيا. وكلّ من مثل أمامه بدا وكأنه حبّة الخردل. وبعد أن قبض روحي أراد إخوتي القيام بتغسيلي فنزلت عليّ ملائكة الجحيم ورمت عليّ الرماد وفضلات البيت ومنعت إخوتي من أن يغسلوني فبقيت على حالي. فلفّوني في كفن لكنّ الكفن، نفر مني واعتبرني غير جدير به.

وقد حملني اخوتي على نعش لكن النّعش صاح بي :

– تنحّ عني أيها اليائس من رحمة الله !

حملني إخوتي إلى المقبرة وكنت ثقيلا كالجبل الهائل من كثرة ذنوبي ووضعوني في القبر ودفنوني ولم يصلّ عليّ أحد. وبعد ذلك جاءني زنجيان رهيبان لهما عينان زرقاوان ورأسان كبيران يبلغ طول كلّ واحد منهما أربعمائة ذراع وخاطباني بصوت مريع :

– من هو ربّك ومن هو نبيّك وإلى أين قبلتك ؟ ياعدوّ الله وعدوّ نفسك ! خذ ورقتك بيدك اليسرى من تحت أضلعك.

وأخذت ورقتي ولم أجد بها سوى حسنة واحدة. فبقيت حزينا في قبري لقلّة ماقدّمته يدي. وبينما أنا على تلك الحال جاءني ملاكان آخران على غاية من التوحّش والقبح، تهتزّ الأرض تحت أقدامهما، وهما نكيّر ونكير وبيديهما هراوة من الحديد لو اجتمعت كل المخلوقات من الإنس والجنّ لترفعها لما استطاعت إلى ذلك سبيلا. وكانت بقبضتهما كحبّة الخردل فقالا لي :

– من هو ربّك ومن هو نبيّك وإلى أين قبلتك ؟

وفزعت منهما، يا نبيّ الله وقلت لهما :

– والله لا ربّ لي سواكما ولا نبيّ لي سواكما ولا قبلة لي سواكما.

فقالا لي :

– أنت كاذب يا عدوّ الله وعدوّ نفسك.

وضرباني ضربة هشّمت عظامي وفكّت مفاصلي. وبقيت في عذاب كبير. وبينما أنا على تلك الحال أقبل ملاكان آخران من بين الملائكة التي تكتب ما تقدمه العباد في الدنيا وقالا لي :

– يا عدوّ الله وعدوّ نفسك هيّا معنا إلى حيث أهل النّار !

وذهبت معهما، يا نبيّ الله، حتى وصلنا إلى باب من أبواب جهنّم. وعندها وقفت ورأيت رجالا تعضّهم أفاعي وعقارب وتلتهمهم ألسنة النّار فتمزّق لحمهم إربا إربا. فقلت لهما :

- لمن هذا العذاب ؟

فقالا لي :

- هذا العذاب لك ولمن أكل مال اليتامى في هذه الدّنيا.

وذهبت معهما إلى الباب الثّاني ورأيت رجالا ترتفع ألسنة النّار من بين أيديهم، فقلت :

- لمن هذا العذاب ؟

فقالا لي :

- هذا العذاب لك ولمن أقسم بالله كذبا في هذه الدّنيا.

وذهبت معهما إلى الباب الثّالث فرأيت رجالا يثغون كالخرفان من شدّة العذاب.

فقلت :

- لمن هذا العذاب ؟

فقالا لي :

- هذا العذاب لك ولمن شرب الخمر في هذه الدّنيا.

وذهبت معهما إلى الباب الرّابع : فرأيت رجالا تخترقهم النّيران من فوق وتخرج منهم من أسفل فقلت :

- لمن هذا العذاب ؟

فقالا لي :

- هذا العذاب لك ولمن أكل الحرام في دار الدّنيا.

وذهبت معهما إلى الباب الخامس. فرأيت هناك نساء معلّقات في النّار من ألسنتها ولحمهنّ يذوب ذوبان الثّلج. فقلت :

- لمن هذا العذاب ؟

فقالا لي :

- هذا العذاب لك ولكلّ امرأة ميّالة إلى النّميمة أو إلى إغضاب زوجها.

وذهبت معهما إلى الباب السّادس. فرأيت نساء معلّقات من أرجلهّن، تدخل النّيران من أفواههنّ وتخرج من أسفلهنّ. فقلت :

- لمن هذا العذاب ؟

فقالا لي :

- هذا العذاب لك ولكلّ امرأة تنساق إلى الزّنى.

وذهبت معهما إلى الباب السّابع. فرأيت نهرا يسمّى الفلق ورأيت، يا نبيّ الله عذابا يصعب على المرء وصفه أو فهمه، ورأيت، يا نبيّ الله، أناسا يتمرّغون فيه تمرّغ المجانين من شدّة العذاب.

بقي عيسى مذهولا لما سمعه من الجمجمة وقال لها :

- يا جمجمة ! اطلبي منّي أيّ نعمة أو فضل تريده من الله.

فقالت :

- يا نبيّ الله لا أسألك سوى أن تلتمس من الله أن يعيدني إلى دار الدّنيا حتّى أقدّم أعمالا حسنة واتّبع الصّراط المستقيم وأفعل ما يفعله أهل الجنّة وأستريح من هذا العذاب الكبير.

وعندها صلّى عيسى وتضرّع إلى الله رأفة بتلك الجمجمة. فأعيدت إلى دار الدّنيا بأمر من الله كما كانت في البدء. فعاشت اثنتي عشرة سنة على طاعة الله عزّ وجلّ وعلى فعل الخير. وماتت في رضا الله بعد أن استقامت بمشيئة الله تعالى.

فليوجّه الله خطانا إلى ما فيه رضوانه وغفرانه علينا وعلى المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات. آمين ياربّ العالمين.

• Antonio Vespertino Rodriguez, *Leyendas aljamiadas y moriscas sobre personajes biblicos*, Editorial Gredos, Madrid, 1983 (Ms. B.N. 5305 : Fols. 16v-22v).

4- حديث عن أكل الجيفة

رُوي عن بعض العلماء، عن ثقة الأحبار (كعب الأحبار) أن عمر القلاحي كان عاصيا الله تعالى. وفي يوم من الأيّام، بينها هو جالس عند باب المدينة مرّت أمامه امرأة فراح يحدّق فيها... وإذا بالمرأة تقف على جثّة حيوان ميّت وتخرج من كمّها خنجرا وتقتطع شيئا من لحمه وتعود أدراجها إلى بيتها. عجب عمر ممّا أقدمت عليه المرأة فاقتفى أثرها إلى أن دخلت بيتها وأوصدت الباب.

اقترب عمر من البيت وطرق باب المرأة بلطف فأجابت :

- من في ا لباب ؟ وماحاجتك ؟ كان الله في عونك !

قال عمر :

- أنا في حاجة إليك.

خرجت المرأة ووقفت عند الباب وقالت :

- ماحاجتك ؟ كان الله في عونك !

قال عمر :

- أسألك بالله أن تقولي لي الحقيقة وألاّ تخفي شيئا عمّا سأطلبه منك !

قالت :

- اطلب ماشئت.

قال عمر :

- أسألك بالله الذي تؤمنين به أن تخبريني لمذا قطعت شيئا من لحم تلك الجيفة وأخذته إلى بيتك.

قالت :

- ياسيّدي، فلتعلم أنّ لي ثلاث بنات لم تأكلن منذ ثلاثة أيّام أيّ لون من اللّحوم. وقد تألّمت لكثرة جوعهنّ فخرجت من بيتي آملة أن يرزقني الله بشيء أعود به إليهنّ. وكنت أفكّر في حيرة، لاأعرف ماسأفلعه فقلت في نفسي :"لو طرقت باب الجيران مستجدية" لعايروني بذلك في يوم من الأيّام". ففضّلت الخروج إلى باب المدينة والوقوف عند تلك الجيفة واقتطاع شيئا من لحمها كما شاهدت وطهيه والله أسأل أن يغفر لي صنيعي.

قال عمر :

- انتظريني هنا.

وعاد عمر إلى بيته وأخذ مائة درهما ورجع إلى المرأة.

قال عمر :

- خذي هذه الصّدقة سرّا، على وجه الله.

ولمّا توفّي عمر وهو مؤمن، ... كانت الملائكة مبتهجة حوله وكان جثمانه يرسل رائحة كأنها المسك. وقد دفن وكان ثوابه عند الله كبيرا.

"سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين".

Estudio y edicion del Codice miscelaneo aljamiado morisco n°IV de la Junta para Ampliacion de Estudios (Folios 148V-150r) Tesis doctoral defendida por Mohamed Ali Ben M'rad en la Universidad Compultense de Madrid en 1991.

5-قصّة "قصر الذّهب" والتنّين مع علي بن أبي طالب

(المخطوط رقم 3226، الجزء الثاني، مكتبة القصر الملكي بمدريد)

باسم الله الرّحمان الرّحيم

حديث قصر الذّهب وقصّة التّنين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال : روى إسحاق بن عبد الله عن إسحاق بن مالك بن قيصر بن جابر عن عبد الله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن أنس بن مالك عن معاذ بن مسلم عن وهب بن منبّه رحمه الله عن النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم قال : صلّى رسول الله صلاة العصر معنا ثمّ رأيناه ينظر إلى السّماء وجبينه يتصبّب عرقا فأدركنا أنّ جبريل عليه السّلام قد نزل عليه.

قلنا :

– يا حبيبنا ! يا رسول الله ! أخبرنا بما أوحى لك أخوك جبريل.

فأدار الرّسول وجهه المشرق إلينا، وأخذ يحدّثنا عن عربيّ سيأتي إلينا طالبا العون والنّجدة، ثمّ أضاف قائلاً :

– فاستقبلوه وقدّموا إليه أنفسكم واستحضروا جوابكم لأنّ هذا العربيّ سيدخل علينا في هذا اليوم بالذّات.

فوالله، لم ينته الرسّول من كلامه وتعليله حتّى ظهر عربيّ راكبا ناقة يتطاير الزّبد من فمها ككويرات القطن. ومازال على مطيّته حتّى وقف عند باب المسجد وقال :

– كلّ الطيّبات معكم ومعكم تشدو الطيّور وكيف لا تكون حالكم كذلك وبينكم النبيّ المختار محمّد عليه الصّلاة والسّلام ؟

فقال له الإمام الشّهير الملقّب بالعتيق المسمّى أبو بكر الصّديق :

- يا أخ العرب ! ألم تر الوجه المشرق لذلك السيّد الجالس قربَ المحراب ؟ إنّه المصطفى محمّد صلّى الله عليه وسلّم من شروق الشّمس إلى طلوع القمر.

فنزل العربيّ من النّاقة وقال له :

- السّلام عليك يا محمّد خاصّة وعلى الصّحابة عامّة.

فسأله الرّسول :

- يا رفيق السلام ! من أنت ؟

قال له :

- أنا عربيّ من شرفاء بني قيس. لقد آمنّا بك وإن لم نرك وصدّقنا ما جئت به. لقد بعثت إلينا جماعة من قومك قرؤوا علينا القرآن وفسّروا لنا البيّنة فاتّضح لنا النّور من الظّلام وظهر لنا سبيل الحقّ وأدركنا أنّك النبيّ محمّد المختار. فاعلم يا رسول الله أنّه يوجد بأرضنا وجوارنا قصر يسمّى "قصر الذّهب" يعيش به تنّين كبير أهلك أبقارنا وجمالنا، وقطع عنّا الطّرق، والتهم القوافل والمسافرين وأرذل العباد. ولا حول لنا ولا قوّة معه. فبشرفك العظيم وبحلمك، سخّر لنا من يكفينا ويحمينا من شرّه. فنحن مع الله ومعك يا رسول الله.

ولما سمع الرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلم هذه الشكوى قال له :

- لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

قال الرّاوي : نادى نبيّ الله مقداد بن الأسود الكندي وعمّار بن ياسر القريشي وأبا حذيفة الأنصاري. ومازال ينادي حتى مثل أمامه ألف فارس. ونادى الفضل بن عبّاس وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فلبس عليّ لباس الحرب وامتطى جواده وفعل العبّاس مثله واقترب الجميع من رسول الله. وقدّم النبيّ عليه السّلام عليّا بن أبي طالب قائدا على الجيش، فوقف عليّ رضي الله عنه أمام النّاس وقال:

– لبيّك اللهمّ لبّيك، ومن استجاب إلى نداء الرّحمان كان من السّعداء. فلا زاد لنا سوى خوف الله والخشوع له، ولا دين لنا سوى دين محمّد ومن اتّبع دينا آخر وأنكر دين الإسلام كان الحزن والأسف مآله.

قال الرّاوي :

وانصرف عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وفي يده اليمنى إشارة القيادة يقود قومه في ثنايا ملتوية حتّى أطلّ الجميع على قبيلة من بني قيس. فخرجت إليهم تستقبلهم بكلّ احترام وتبجيل وفرشت إليهم الأرض هدايا وأحضرت لهم أطعمة راقية وذبحت لعليّ وأصحابه الأغنام والأبقار فأكلوا وشربوا. ثمّ قال عليّ :

– كم يبعد "قصر الذّهب" عن هذا المكان ومن يدلّني عليه ؟

فقام شيخ مسنّ وقال :

– أنا أدّلكم يا جماعة على مكان القصر، فأنا أعرف الطريق المؤديّة عليه.

قال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

– أيّها الشيخ الكريم، خبّرني عن هذا القصر.

قال الشيخ :

–بكلّ سرور، يا عليُّ ! هو قصر منيع، أبوابه من حديد وأرضه من الأرجوان والعنبر، بناه شدّاد بن عاد بن صمّود بن الملك عاقم زمن الوثنيّة، وجعل له شرفات عالية جدّا وفتح له أبوابا من جهتين وطوّقه بسياج شديد الارتفاع وتفنّن في بنائه حتى بدت أرضيّته من البلّور وأبوابه من العاج، وطلى جدرانه ذهبا وزواياه فضّة وأعمدته نحاسا أصفر ومدافعه وفوّاراته رصاصا وكسا أبراجه بالرّخام الأبيض والأحمر وشيّد له أسوارا شاهقة شامخة. وتحيط بهذا القصر أنهار عذبة وبساتين وغابات وينابيع وجداول جارية. وقد أقيم في مفرق طرق منها ما يوصل إلى اليمن ومنها ما يوصل إلى الشّام. وكان يعيش فيه قبل الآن ملوك وفتيان شجعان. وقد ذاع صيت هذا القصر

في شرق الأرض وغربها إلى أن حلّ هذا التنّين فأتلف زرعنا وغرسنا وأغنامنا وأبقارنا ودوابّنا وقطع أمامنا الطّرق وأفقر المدن والقرى المحيطة بالقصر.

قال الرّاوي :

- ما إن سمع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ما سمع حتّى صاح قائلا :
- أين خالد بن الوليد المخزومي ؟

فأجابه خالد. ثم نادى مقداد بن الأسود الكندي وعمّار بن ياسر القريشي وعمرو ابن أميّة الضّمري، وقال لهم :

- اركبوا جيادكم واذهبوا إلى هذا القصر واخبروني عنه.

فانصرف الفرسان عبر مناطق وعرة وصحار قفراء وأراض قاحلة يابسة لا ترى فيها ساكنا تخاطبه أو دليلا يرشدك ماعدا الأشقياء من بني إبليس لعنه الله.

وساروا حتى أطلّوا على "قصر الذّهب" فإذا بأبوابه قد تحوّلت إلى رماد. ولمّا اقتربوا منه رأوا دخانا عاليا يتصاعد من صحنه. فوقف خالد وأصحابه على مشارفه.

قال عمرو :

بينما كنّا نتأمل في باب القصر رأينا جبلا أسود يخرج منه كأنّه اللّيل الدّامس ودخانا كثيفا قادما صوبنا. ثمّ رأينا شبح تنّين مهول يخرج رأسه من باب القصر وفمه مفتوح تخاله كهفا يرسل ألسنة من الدّخان تأتي على الأخضر واليابس حوله. وسمعنا له صوتا شديدا كأنّه دويّ الرّعد. وما لبث أن ظهر لنا التنّين المهول تارة زاحفا على بطنه وطورا على جنبه. فأخذنا الخوف والفزع وتملّكنا الرّعب وقفلنا هاربين إلى حيث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وما إن شاهدنا عليّ حتّى انتصب وقال :

- ما بكم ! أرى وجوهكم شاحبة وقد تغيّر لونكم !

فوصف له خالد بن الوليد ملامح التنّين وما يخرج من فمه من نار ودخان.

فقال عليّ :

– لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

ثم امتطى فرسه وكذلك فعل أصحابه وانطلقوا جميعا يطوون الأرض طيّا إلى أن أطلّوا على "قصر الذّهب" فرأوا قصرا شاهقا يتلألأ من كلّ جانب. فأمر عليّ المسلمين بالتوقّف والجلوس. ووضعوا له كرسيّا وفرشوا له بساطا ثمّ التفّوا حوله وجلسوا يمينا وشمالا. ولم تمض ساعة حتّى قال عمّار بن ياسر القريشي :

– بينما كنّا على تلك الحال خرج إلينا من باب القصر لهيب متوقّد تتطاير شراراته كالجبال العالية، فتحوّلت الأرض كلّها إلى جمرة وهّاجة، ولحقت بنا ألسنة النّار والدّخان. ولمّا ابتعدت عنّا كان الغمّ قد أخذ منا مأخذه واشتدّ كربنا وتصبّب عرقنا وهال الأمر في أعيننا. أمّا الخيول فقد قطعت أعنّتها وفرّت من المكان ولم يبق سوى جواد النبيّ عليه الصّلاة والسّلام واقفا أمام عليّ بن أبي طالب.

قال الرّاوي ولمّا رأى عليّ ذلك صاح بأعلى صوته :

– أيّتها الخيول المتوارية، أجيبي وأطيعي ابن عمّ رسول الله وعودي لأصحابك.

قال الرّاوي : ولمّا سمعت الخيول نداء عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه رجعت أدراجها حتى وقفت أمام عليّ بن أبي طالب. فانتصب عليّ ومسّح على رأسها بكمّه فأزال خوفها وذعرها. ثمّ قال لنا عليّ رضي الله عنه :

– اركبوا خيولكم.

فركبناها.

قال راوي الحديث :

– لقد خفنا وذعرنا لِمَا رأينا من هول.

ثمّ قال عليّ رضي الله عنه :

- لا يخيفنّكم هذا الأمر ولا تفزعوا ممّا رأيتم. فوالله سترون اليوم شيئا ينذعر له الكبير وينقبض له الصّغير وتندهش له ملائكة السّماء.

قال خالد بن الوليد :

بينما كان عليّ رضي الله عنه يخاطبنا خرج إلينا من باب القصر دخان داكن كسا الجوّ شرقا وغربا ويمينا وشمالا حتى صرنا لا يرى الواحد منّا الآخر، وانقبضت أنفسنا وسمعنا له صيحات عالية وصراخا اهتزّت له الأرض طولا وعرضا. فخفنا خوفا شديدا وهلعنا وأيقنّا أننّا هالكون جميعا. أمّا عليّ رضي الله عنه فقد كان يحدّثنا ويواسينا ويرجع إلينا رشدنا بكلماته الطيّبة ولا يظهر عليه الخوف الّذي تملّكنا. ولم تمض ساعة حتى انقشع ذلك الدّخان. فرأينا عليّا رضي الله عنه وقد اشتدّ غيظه. وكانت له علامة : فكلّما اغتاظ احمرّ وجهه.

قال ابن الوليد : تجاسرت عليه وقلت له :

- هوّن على نفسك يا حبيبي ! يا أبا الحسن !

فهدأ عليّ والتفت إلى الزّبير بن العوّام وقال له :

- يا عبد الله ! انزل من حصانك. فالمكان والزّمان غير مناسبين لذلك. فنزل الزّبير وقال له:

- يا أبا الحسن مرني وستجدني من الطّائعين.

قال له عليّ رضي الله عنه :

- يا أبا عبد الله ! أتساعدني اليوم على مجابهة الموت ؟

فقال له :

- بلى يا ابن عمّ رسول الله.

فقال له عليّ رضي الله عنه :

- تأهّب للموت.

وفي أقلّ من ساعة، لبس الزّبير درعه وواقية رجلين مرصّعة بالفضّة وشدّ سيفه ووضع على رأسه قبّعة حمراء. وكان فتى رشيق القامة عضل الصّدر. ثمّ وقف على يمين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. والتفت عليّ إلى قيس بن سعد وقال له :

- يا أبا عبد الله ! أتساعدني اليوم على مجابهة الموت ؟

فقال له :

- بلى يا ابن عمّ رسول الله.

فقال له عليّ رضي الله عنه :

- تأهّب للموت.

فنزل من حصانه ولبس زردا مرصّعا بالذّهب ووضع على رأسه قبّعة صفراء وشدّ سيفه ثمّ أخرجه من غمده. وأخذ خوذة وكانت من الخيرزان ووقف على شمال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثم التفت عليّ إلى مقداد بن الأسود الكنديّ وإلى عمر بن ياسر القريشي وقال لهما ماقاله للآخرين.

فاستعدّا للقتال وتأهّبا ووقفا أمام عليّ رضي الله عنه.

عندها قال لهما عليّ :

- أنزلا من حصانيكما وخذاهما إلى خلف.

فاستجابا له.

ثمّ خاطبهم جميعا قائلا :

-يا أصدقائي، لو كتب لي أن أهلك أمام هذا التنّين ورأيتم أنّه لا حول لنا ولا قوّة معه فليفرّ كلّ واحد منكم إلى ملجئه وليتحصّن داخله بدرعه. ولمّا يعود التنّين إلى القصر، امتطوا خيولكم واذهبوا إلى النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم وأخبروه بما جرى.

ولبس علي رضي الله عنه لباس الحرب ووضع على رأسه قبّعة النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم وشدّ سيفه ذا الفقار ومسك درعه بيده اليسرى، وكان هذا الدّرع لعمّه حمزة بن عبد المطلّب، ثمّ اتّجه صوب باب القصر فقرعه وصرخ صرخة قويّة.

قال راوي الأسطورة :

- أحسسنا كأنّ السّماء سقطت وكأنّ الأرض انشقّت وكأنّ الجبال قد انتقلت من مواقعها لشدّة صرخته.

قال عمرو :

وبينما نحن على تلك الحال، رأينا شرارات من النّار تتطاير نحوه من باب القصر فخفنا عليه خوفا شديدا. قال الراوي :

- رجع إلينا عليّ رضي الله عنه وقال :

- لا علاقة لهذا الأمر بالتّنين، إنّه فعل جنّ خبيث ليس غير. ولا شكّ أنه سيّد الجماعة وله قبائل عديدة.

فخفنا وهلعنا لكنّ عليّا لم يفزع لهذا الأمر وانصرف لتوّه إلى باب القصر يقرأ القرآن والحجر يتساقط عليه تساقط البرد من السّماء. فاغتاظ عليّ رضي الله عنه لأنه لم يستطع الوصول إلى القصر من شدّة ألسنة النّار والدّخان.

وبعد أن قيّم علي بن أبي طالب الوضع، رجع إلينا بوجهه المشرق وقال :

- امكثوا في أماكنكم ولا تتحرّكوا منها فبالله الذي ينير الشّرق والغرب لن يدخل الجنّة اليوم أحد غيري. فإن نجوت منهم فسيكون ذلك بفضل الله تعالى وعونه وإن هلكت فسيكون ذلك حكم الله الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم. فإن قضي أمري، بلّغوا سلامي إلى رسول الله وإلى الحسن والحسين وإلى نساء النبيّ صلى الله عليه وسلّم.

لمّا سمع المسلمون كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أجهشوا بالبكاء.

قال الزّبير بن العوّام :

- يا ابن عمّ رسول الله ! كيف ستكون حالنا وبأيّ وجه نعود إلى رسول الله تعالى ؟ فكيف لا نذهب معك ونموت أمامك ؟

قال عليّ رضي الله عنه :

يا الزّبير ! امكث في مكانك ولا تتحرّك منه إلى أن ترى ما سيكون. فقد كتب ما كتب بالقلم والأمر لله قبل كل شيء وبعده ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

ثمّ ودّع عليّ أصحابه وذهب إلى باب القصر وصرخ صرخة فشعرنا كأن السّماء سقطت وكأن الأرض انشقّت وكأنّ الجبال تحرّكت من مواقعها. وسمعنا صرخة دوّت من داخل القصر فاسودّت وجوهنا بالدّخان...تسلّل عليّ رضي الله عنه وفتح باب القصر وغاب عنّا ساعة. ودوّت من جديد من داخل القصر صرخة كأنّها دويّ الرّعد فكدنا نهلك ونحن نقول :

- هذا وعدك وأنت لا تخالف الوعد ياالله، ياالله، ياالله، بحقّ "طه" و"يس" والقرآن الشّريف لا تجرح قلوبنا على عليّ ياربّ العالمين ! وبحقّ "يس" "وقل هو الله أحد" لا تحزن قلوب الحسن والحسين وقد وعدت النبيّ بعونه ونصرته وأنت لا تخلف الميعاد.

قال خالد بن الوليد :

- والله لقد رأيت الزّبير يمرّغ خدّيه في التّراب وهو يقول :

- لقد فقدتم عليّا يا إخواني ! وهو الّذي كان بصوته خير أنيس لنا.

وتعالى الصّراخ وتعالت ألسنة النّار والدّخان وكست نفاياته وجه الأرض، ولا أحد يسمع صوت عليّ.

قال الزّبير بن العوام :

- لنذهب جميعا إلى القصر ولنر ما فعل الله بعليّ رضي الله عنه. فباستطلاعنا الأمر سيكون لنا بحول الله فضل وحظوة حسنة لدى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لأنّنا سنخبره الخبر اليقين.

قال الرّاوي :

ولمّا اقتربنا من باب القصر، استقبلتنا النّيران وقد اشتعلت أمامنا وانتشرت في كلّ الأرجاء وتحت أقدامنا. وخرج إلينا تنّين ضخم يقطع الأشجار في طريقه ويحرق الأرض بنفخاته، يسمع له دوي من بعيد تخاله دويّ الرّعد وتتطاير من عينيه شرارات وقّادة...هجم علينا كالسّهم فهربنا إلى ملاجئنا حيث تحصنّا بدروعنا.

اقترب منّا التّنين ولفّ حولنا ولم ينصرف إلاّ بعد ساعة. ثمّ هاجم الخيول ونفخ عليها نفخته فاحترقت جميعها ماعدا حصان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

قال الزّبير بن العوّام :

– بعد أن انصرف التّنين، خرجنا من مخابئنا ونظرنا إلى الخيول فوجدناها قد تحوّلت إلى رماد منثور. وربّ القبلة، ياله من حزن على وفاة عليّ !

كنّا نبكي جميعا ونفكّر في الرّحيل. وفجأة رأينا شيخا طويل القامة، مشرق الوجه، تبدو عليه علامات القوّة والحكمة.

ولمّا اقترب منّا قال لنا :

- يا جماعة محمّد عليه السّلام ! أيقنوا أنّكم لن تصلوا إلى عليّ بن أبي طالب إلاّ وهو ميّت.

فقلنا له :

- يا شيخ ! وما جرى له ؟

قال :

- جمع أحد الجِنّة الملعونة خمسين ألف شيطان ملعون ليقاتلوا عليّا فنازلهم جميعا وهو يناديكم لتنجدوه.

فبقينا مذهولين لا ندري ما نفعل وتمنّينا لو نسقط الجدار..

وفجأة هاجمنا التّنين من جديد ودوّى دويّه فرجعنا أدراجنا والتجأنا إلى مخابئنا حيث تحصنّا بدروعنا...

قال الراواي :

لنرجع إلى فاطمة، زوجة عليّ وبنت النبيّ محمّد عليه السّلام...كانت ببيت مسلمة نائمة. فأراها الله زوجها عليّا بن أبي طالب، وأراها القصر وغرائبه والجنّة والعفاريت في شتّى الأشكال...رأت فاطمة في المنام ما حدث لعليّ فاستيقظت مذعورة.

فقالت لها أمّ سلامة :

- يا فاطمة ! ما بك ؟

فانتصبت فاطمة وهي تصرخ :

- حبيبي ! يا أبا الحسن ! روحي لروحك ونفسي فداك.

ثم توجّهت إلى خادمتها فضّة وقالت لها :

- يا فضّة، اذهبي إلى المسجد ونادي والدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقولي له أن يجيء لو أراد أن يلحق بابنته وهي على قيد الحياة. فأنا مشرفة على الموت أكاد أفارق هذه الدنيا.

أسرعت فضّة إلى المسجد وقالت لسعد أن يخبر النبيّ عليه السّلام أنّ ابنته فاطمة على وشك الموت، وعليه أن يسرع إن أراد أن يرها على قيد الحياة قبل أن تفارق هذه الدنيا.

ودخل سعد على النبيّ عليه السّلام وأخبره الخبر. فلم يلبث أن نهض وأخذ يهرول وحذاؤه بيده وهو يقول :

- ماذا سيحلّ بي وبفاطمة الزّهراء ؟ هل جاء خبر أزعجها ؟ وكيف ذلك ؟إنّ حبيبي جبريل لم ينزل عليّ بالوحي ولم يخبرني بما جرى لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وغفر له ؟

ومازال يهرول ويتساءل حتّى بلغ بيت ابنته فاطمة. كانت واقفة أمام مدخل الدّار والدّموع تجري على خدّيها كسيل المطر. وكلّما مرّ ابناها الحسن والحسين أمامها زاد دمعها وتنهّدت قائلة:

- يا إلاهي ! يا مرشدي ! كن لعليّ معينا ونصيرا.

ولمّا رآها النبيّ عليه السّلام قال لها :

- يا قرّة عيني، ما الّذي يبكيك ؟ لا أبكى الله عينك.

قالت :

- يا أبتي ! كيف لا أبكي وعليّ بن أبي طالب على وشك الهلاك ؟

قال النبيّ :

- وكيف ذلك ؟

قالت :

- يا أبتي ! كنت مستلقية ورأسي على ركبة أمّ سلامة فغلبني النّعاس ورأيت في المنام عليّا بن أبي طالب رضي الله عنه وقد حاصرته الجنّة والعفاريت والشياطين فقاتلهم قتالا عنيفا يذوب له الحديد. ورأيته حائرا لا يدري ماذا يفعل، ورأيته يجاهد الجنّة وهو يقول :

- يا فاطمة قولي لأبيك أن يرسل إليّ من يغيثني فأنا في أشدّ الجهاد. قولي له بالله أن ينجدني رأفة بالحسن والحسين...وهما يبكيان ويقولان : "- يا جدّي ! نسألك بالله العظيم أن تعجّل بنجدة والدنا."

وضمّهما النبيّ إلى صدره وقبّل جبينهما وقال :

- إنّ ماقلته صواب. فالله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء...أنا في انتظار حبيبي جبريل عليه السّلام.

ونزل جبريل عليه السّلام على النبيّ وقال له :

- السّلام عليك، يا محمّد، ورحمة الله وبركاته. لقد خصّك الله تعالى بالتّكريم والتّبجيل، وهو يقول لك أن تبلّغ السّلام إلى فاطمة وأن تطمئنها حتّى لا تحزن ولا تخاف ولا تفزع على زوجها عليّ فسيرجع لها سليما معافى يا محمّد، لقد مددناه بالملائكة ومن بينهم ملاك لو طلبنا منه أن يقتلع السّموات والأرض لاقتلعها بأشجارها وأنهارها. فلا تقلق ولا تحزن ولا تبك فالقويّ معه لا يذلّ عبده وهو على كلّ شيء قدير.

قال الرّاوي : لمّا علم النبيّ بما أوحى له جبريل عليه السّلام فرح فرحا شديدا. ثمّ صلّى ركعتين وقال :

- يا إلاهي ! يا ربّي ! بحقّ إبراهيم صديقك وبحقّ موسى كليمك، أرني حبيبي عليّا رضي الله عنه.

سمع الرّسول عليه السّلام صوتا يقول له :

- يا محمّد، يا من لا مثيل لك بين الأنبياء ويا من لا أحد أرفع منك شأنا لقد سمعك الله واستجاب لطلبك، فاسأل الأرض ما شئت لأن الله أمرها أن تستجيب لك قبل أن يخلق آدم عليه السّلام بألف سنة. فعندما يقبل اللّيل وتنام العيون ولا يبقى في الدّارين إلاّ الحيّ القيّوم، افعل ما شئت يا محمّد !

وعندما أسدل الليل جناحيه وغرق النّاس في النّوم، أخذ الرّسول عليه السّلام فاطمة من يدها والحسن والحسين وصعدوا جميعا على تلال عبد الله الأنصاري حيث لا توجد بالمدينة تلال أكثر منها ارتفاعا. وطلب النبيّ عليه السّلام من الأرض أن تنطوي وتجلب له القصر بأبوابه وحجراته وتنّينه.

انطوت الأرض حتّى أصبح القصر قريبا من المدينة، على مسافة أربعين ذراعا. ورأى الرّسول عليه السّلام القصر وعليّا بن أبي طالب رضي الله عنه والجنّة والعفاريت والشّياطين المحيطة به من كلّ جهة وهو يقاتلها يمينا وشمالا.

فصاح النبيّ محمّد صلى الله عليه وسلّم :

- دع مقاتلة الجنّة والعفاريت وصارع التّنين الملعون فهو ملك الجماعة وستنتصر عليه.

سمع عليّ رضي الله عنه صوت النبيّ عليه السّلام فراح يقاتل التّنين. فصرخ صرخة ورفع عليه سيف النبيّ عليه السلام وأعانه جبريل عليه السّلام على قتله فضربه ضربة قطعته إلى شطرين فتلاشى شطره الأوّل شرقا وتلاشى شطره الثاني غربا. ولمّا رأت الجنّة أنّ ملكها قد هلك جاءت لعليّ واستسلمت له.

قال عليّ :

والله لن أبالي بها وإن كثر عددها. فالله معي وسيعينني عليها.

هاجمها عليّ بكلّ بسالة تارة من الوسط وطورا من المؤخّرة ففعل بها ما تفعل الرّياح العاتية في البحار الهائجة والنّيران الملتهبة في الأحطاب الجافّة. وكانت الملائكة تعينه على القتال ولم يكفّ عن ضرب أعدائه حتّى أتى عليهم جميعا وسالت الدماء بين يديه كما تسيل الأنهار الجارية. وسمع جماعة تصيح :

- الأمان يا عليّ !

فرفع عليهم السّيف وأسلموا على يد علي بن أبي طالب. وطلب الرّسول من الأرض أن ترجع إلى مكانها مع القصر فاستجابت في لمح البصر حيث تراجعت مسافة ثمانية أيّام سيرا على الأقدام.

وخرج عليّ رضي الله عنه من القصر ولم يجد رفاقه فذهب إلى مخابئهم وناداهم. ولمّا عرفوا صوته هبّوا إليه وعانقوه وقبّلوا جبينه وقالوا :

-الحمد لله الّذي أنعم علينا بعليّ بن أبي طالب.

ورافقوه إلى القصر ولمّا دخلوا شاهدوا الدّماء تجري كالطوفان وسمعوا صوتا يقول :

- أبشّرك يا عليّ فقد مات من بينهم على يديك سبعة عشر ألف جنّ وعفريتٍ لَعِينٍ وقد أعانك الله عليهم.

قال راوي الأسطورة :

سهر عليّ رضي الله عنه في تلك اللّيلة بالقصر وفي الصّباح المبارك توضّأ بماء القصر وصلّى ركعتين وأخلى المكان من الجنّة والشياطين، وأرسل إلى بني قيس فمثلوا أمامه فقال لهم :

- آمركم أن تسكنوا القصر وأن تجعلوا أراضيه وبساتينه وأشجاره في حوزتكم.

فامتثلوا لأمر عليّ. ورجع هذا الأخير إلى المدينة سالما معافى. وفرحت به القبائل فرحا كبيرا واندهشت لشجاعته وخرج النبيّ محمّد صلى الله عليه وسلّم لاستقباله فعانقه وضمّه إلى صدره وقبّلا جبينه. وفعل أبناؤه الحسن والحسين مثل جدّهما محمّد عليه السّلام. وفي المسجد توافد النّاس يسلّمون عليه ويبشّرونه بالتّكريم والتّبجيل.

وأخذ الرّواة يقصّون مآثره ومحنه ومعجزاته وحظوظه الكبيرة. وأعجب الناس ببسالته ونباهته، رضي الله عنه.

ودوّنوا ما سمعوا وراحوا يقصّون أخباره وينوّهون بشجاعته وذكائه إلى يوم الحساب، رضي الله عنه.

إلى هنا تنتهي قصّة "قصر الذّهب" والتّنين مع الفارس علي بن أبي طالب. والحمد لله.(يتبع) .

- Alvaro Galmés de Fuentes, *El Libro de las batallas*, Editorial Gredos, Madrid, 1975.